(٢٤)

طريق
الخلاص والحياة

حديث الجمعة

٢٤ محرم ١٣٨١ هـ - ٧ يوليو ١٩٦١ م

اللهم إنا قد مستنا من أنفسنا البأساء والضراء، فلك جأرنا، فمستنا منك النعمة، فلك شكرنا، واستيقظت عقولنا، فلك رجعنا، وأفاقت نفوسنا فلك طَلبنا..

اللهم إنا بك قد آمنا ولرسولك قد أسلمنا..

اللهم إليك فأرجعنا، وبخلقك بمحمد ألحقنا، وفيه أدخلنا، وبما أنزلت معه من الحق حققنا.

اللهم إنا نترسم خطاه، ونتابع مسراه. اللهم به فقومنا، وبطريقه وبسبيله أوصلنا، وعلى بابه لك أوقفنا.. اللهم منه إليك فأدخلنا، ومن رحمتك معه لا تحرمنا وفيها أغرقنا.

عباد الله:

إننا كما تعلمون في عصر بلغت فيه الأرض زخرفها وازينت، وتجاوز أهلها الظن بأنهم قادرون عليها. إن الظلام قد شملنا وأحاطنا، وإن الخصام قد قام بنا وأهلكنا، ولا خلاص لنا مما به أحطنا، إلا بالمرجع إليه في أعماقنا وفي قلوبنا، وفي لبنا.

إن العذاب وإن العقاب لا يلحق إلا جلودنا، فلنتخلص منه بالهروب منه، من سطحنا إلى داخلنا إلى أعماقنا..

إن القلوب إذا حييت.. إن اللب إذا تواجد، لا يلحقه نصب ولا يضيق بتعب. فلنرجع إلى الله - معنا - أقرب إلينا من حبل الوريد، إلى الله في أعماقنا. إن القلوب هي أرض الله الواسعة التي يفر إليها المكروب من كل كرب..

لقد جاءنا رسوله، منه وعليه السلام، ومنه وعليه الصلوات، فأقام بيننا مرآة صفاء ربه، يراه أهل الجلود ممن يعيشون على الأرض أو في السماء بجلودهم جلدة على مثالهم، فيحتذونه ما شهدوه، ويغيبونه ما فقدوه...

ويراه أهل الألباب لبا بلبهم، فيعرفونه لبا لهم فلا يقطعونه، ولا يغيبونه، ولا يعمهونه في ألبابهم...

ويراه أهل النفوس منهم، نفسا على مثالهم في صفائها بصفائهم، ويراه أهل العقول عقلا على مثالهم، حكيما محكما في حكمتهم فيصلونه بلا انقطاع في العلاقة بينه وبينهم...

ويراه أهل الروح روحا على مثالهم وروحا لأرواحهم، فيحيونه ويتواجدونه ولا يعمهونه أبدا...

ويراه كلمات الله كلمة لله جامعة لهم فيجتمعونه كلمة عليهم وإماما لهم...

ويراه الأوادم آدما يتكاثر وينتشر، ويتفرق ويجتمع ويتوحد وينتثر.. إنسانية وبشرية لله، بما يقوم في معانيهم من آدميتهم بأوادمهم أوادمَ لله، وبدايات خلقه، ومظاهر حقه...

ويراه أهل الغيب غيبا من غيب الله يغيبون فيه، به يتواجدون، وفيه يتكنزون، وبه يظهرون، ولمرضاته يعملون، وفي محبته يتفانون، وبه سرمدا يبقون...

إن محمدا خلق الله، وإن محمدا رسول الله، وإن محمدا حكمة الله، وإن محمدا عبد الله، وإن محمدا إنسان الله، وإن محمدا حق الله، وإن محمدا وجه الله.. اجتمع له ذلك كله بوصفه رسولا من الله، وبوصفه رسولا إلى الله من خلق الله.. رسولا من الله من حق الله لخلق الله. ورسولا من خلق الله وإماما لخلق الله، وإماما لعوالم الله، وإماما للثقلين في الله إلى الله.. قائد ركب عوالمه إليه. وبصفته عبدا سرمديا لله.

إن محمدا حق الله ما عرفه إلا الحق من ربه. فما عرف نفسه، وما عرفه الناس، وكان للناس أسوة وقدوة في جهله بنفسه، وفي معرفته بربه.. جهل الناس أنفسهم في الله، لأن إمامهم وقدوتهم ما عرف نفسه في الله.. وآمن الناس بالله في أنفسهم لأن إمامهم وقدوتهم ورسول الله إليهم وأُسوتهم آمن ربه أقرب إليه من حبل الوريد، آمن ربه ممسكا بيده نفسه أبدا وأزلا، آمن لله في نفسه.

حمل لنا الأثر كما حمل لنا الخبر.. أثر رسول الله وخبر رسول الله، فوصلناه أثرا كلما وقفنا له على أثر، وسمعناه خبرا فصدقناه وتابعناه كلما نقل إلينا عنه خبر.. فترسمناه خلقا وآمناه حقا.. فشممنا طيب ريحه فتابعناه، وآمناه حقا فوصلنا ووصلناه على قدر فيه وقدر منه.. نطلب مزيدا فيه ونطلب رضاء منه.

ها نحن بهذا نعمل، وفي هذا نسير، وعليه نجمع، لا نرى الإيمان لنا ما لم نري الإيمان يشرق في قلوب الناس، وفي عقول الناس، وفي نفوس الناس، نحبه ونرتضيه، ونسأل الله أن يزيدنا منه، وأن يزيد الناس فيه.. وأنه ما زاد الناس فيه فقد زادنا، وما زادنا فقد زاد الناس فيه.. إنا لا نفترق من الناس ونسأله أن لا يفرقنا من الناس.. لأنا نؤمن بالله في الناس، ونؤمن بالله في أنفسنا ما آمنا بالله في الناس.

إن الله جامعنا ليوم لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في إنسان لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في حق لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في عبد لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في آدم لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في ملأ لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في أرض لا ريب فيها.. إن الله جامعنا في جمع لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في يوم لا ريب فيه.

إن الله يجمعنا في ليل نسكن فيه.. إن الله يجمعنا في ليل لا نشقى فيه.. إن الله جامعنا في ليلة تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.. إن الله جامعنا في نفس.. إن الله جامعنا في عبد.. إن الله جامعنا في إنسان خير من ألف شهر.

من دخل في إنسان الله.. من دخل في عبد الله.. من دخل في محمد الله.. من دخل في رسول الله فهو آمن، قامت قيامته، وأشرقت ساعته، واستقام في الله أمره، وقام بالله حقه.

ما جاء مرآة صفاء الله للعالمين إلا رحمة لهم في عليين وفي سافلين، وفيما بين ذلك من العالمين.. رسولا من أنفسهم لا يرى فيه الرائي إلا نفسه في وجود الحق مستقيما وجوده، ومستقيمة نفسه على ما أرادها الله إليه... رأته الملائكة ملكا فآخته وآخاها، وتعارفته وتعارفها. فكان جبريل له أخا وكان هو لجبريل أخا. جمع على جبريل غيبا له يوم نادى في الناس إلى روح الله أن هلموا. ومنها لا تيأسوا. ويجمع عليه جبريل الناس.. يا أيها الناس هيَّا إلى رسول الله أن هلموا. ومن وصاله لا تيأسوا.

ورد في الأثر على لسان جبريل عن لسان رسول الله أن أحب عمل إلى جبريل هو أن يجمع الناس من أمته على رسول الله. وقد بخع رسول الله نفسه في أثر الناس أن يؤمنوا بحديثه، وأن لا ييأسوا لأنفسهم من روح الله التي عرفها وعرفته، والتي قامها وقامته، فكانها وكانته.

وها روح الله قد عملت في أمته وما زالت تعمل.. وها هي في هذا العصر تسفر عاملة، وسوف تسفر على رسول الله جامعة، وبه آمرة وله مؤتمرة، وإلى حضرته للناس داعية، وعلى حضرته للطالبين جامعة.

إن الأرواح المرشدة التي تعمل في البشرية في هذا العصر داعية الناس إلى الروح الأعظم لله أبا للجميع، لا تعني بالروح الأعظم لله إلا روح رسول الله.. روح رسول الله الحقية السرمدية الدائمة الأبدية، أظهرها الله في قديم عبوديته، وأبقاها الله وصلة جديد عبوديته، ودائم عبوديته في دائم خلقه، لقديم خلقه، ولقائم خلقه، ولمستديم خلقه.. قامتها ذات الرسول وشجرته.

إن الروح الأعظم من الله روحا لأرواح الله من عباد الله في كلمات الله، وأوادم خلق الله، ودائم إنسانية الله.. هي معنى تعالَى الله.. هي معني تعالِي الله عن الوصف وعن الصفة.. وهي معني تداني الله للخلق في الخلق، بمعاني الحق وبصفات الحق.

إن المعرفة في الروح الأعظم أو المعرفة عن الروح الأعظم هي عين المعرفة عن الله، وهي عين المعرفة عن الإنسان لمعرفته عن نفسه من الله. وإن المعرفة في الذات والذات الأقدس هي المعرفة عن الربوبية.

إننا في هذا العصر الذي اشتد ظلامه كما أشرت، والذي تزايد طغيانه كما قلت وكما نشهد.. فيه إشراق روح الله عن الروح الأعظم من الله، تداني خلق الله، وتقارب عباد الله، وتظاهر إنسانية الله. إننا بهذه الصلة وفي هذه الصلة في رحمة من الله، وفي عناية من الله، وفي نعمة من الله لا نقدرها الآن حق قدرها لأننا في طبيعتنا لا نقدر الله حق قدره. ولكن هذه الرحمة المدانية.. هذه القطرات من ماء السماء تتساقط على الأرض فتتلقفها أرض طيبة من قلوب طيبة تهتز بها وتربو، فتبدأ انقساماتها وتوحداتها، وتبدأ في الله حياتها.

لقد أدرك الكثير منكم هذه الحقيقة في قلوبهم لأنفسهم. وأقول الكثير - وإن قلوا - فإن الواحد من أرض القلوب الحية إنسانية بأسرها.. إن الذي يحيا قلبه، ويقوم أديمه، ويستقيم آدمه، وتظهر به من الله كلمته، ويشرق به في الناس للناس وجهه كثير وإن قل، عديد وإن تعدد بقدر أصابع اليد.. إنه النفس الواحدة التي بحياتها يحيا الناس جميعا وبموتها يموت الناس جميعا..

إنكم في جماعتكم هذه مدرسة الحياة.. مدرسة الروح.. مدرسة الله.. مدرسة الرسول.. أمة الرسول.. كلمات الله من الرسول.. وجوه الله لوجه الرسول.. ما حييت أرض قلوبكم، وما أزهرت شجرة أديمكم، وما استقامت طريق عقولكم، وما تكثرت حضرة نفوسكم. فيكم هذا كله ما جاهدتم أنفسكم وواصلتم طريقكم إلى أهدافكم بل إلى هدفكم وهو الله، الله من ورائكم مظاهر ولكم معين بإحاطته.

فاستقيموا كما أمرتم.. أقامكم الله وأعانكم، وهدانا وهداكم، وهدى الناس بكم.. لا إله غيره وإليه المصير.

عباد الله: اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته..

اللهم إنا نسألك أن تنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا. اللهم إنا نسألك أن تؤلف بين قلوبنا كما ترضى وكما تحب، وأن تقوم فيك طريقنا على ما تحب وعلى ما ترضى، وأن تجعل قيامنا فيك عاملين مجاهدين على ما تحب وعلى ما ترضى. اللهم لا تكلنا إلى ما نحب ونرضى، وأقمنا اللهم برحمتك وبكرمك فيما تحب وترضى، والقنا كما تحب وترضى لمن أحببت ورضيت، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وتولَنا حكاما ومحكومين، وارحمنا حكاما ومحكومين، واغفر لنا يا أرحم الراحمين حكاما ومحكومين.